العدد التاسع
ايلول (سبتمبر)
السنة الثامنة

No. 9 Sep. 1960
8ème année

الآداب
مجلة شهرية تعنى بشؤون الفكر
بيروت
ص.ب ٤١٢٣ ـ تلفون ٣٢٨٣٢
AL-ADAB REVUE MENSUELLE CULTURELLE
BEYROUTH. LIBAN B.P. 4123
Tél. 32832

رئيس التحرير
والمدير المسؤول
الدكتور سهيل ادريس
Rédacteur en chef et
directeur
SOUHEIL IDRISS

الأديب والموت ..

تلقيت منذ ايام رسالة مغفلة تضم قصاصة من صحيفة تحمل نبأ ما كدت اقرأه حتى سرت في جسمي قشعريرة واصابتني هزة : اصحيح هذا ؟ هل مات عبد الباسط الصوفي ، هذا الاديب الشاب الذي كانت تنبعث من شعره نكهة خاصة لانتذوقها في اي شعر اخر من شعرنا الحديث؟ هل ذوى الطائر الذي كانت انغامه تجمع بين العذوبة والعمق والغنى ، وتنم عن حنجرة فريدة تعد بأروع الالحان ؟

لقد غادر عبد الباسط الصوفي بلده حمص في بعثة تعليمية الى غينيا ، اوائل هذا العام . ولا احسب انه اختار تلك البلاد البعيدة الا ليعيش عن كثب تفتح افريقيا البكر للنور والحرية . وبدا يغني افريقيا في قصائد نابضة نشرتها « الاداب » في اعدادها الاخيرة . ولكن هل كان عبد الباسط يسعى بغموض الى الموت ، حين ذهب ليشاهد شمسا جديدة عذراء تطلع على افريقيا ؟

لقد كنت انتظر رسائله ، من حمص اولا ومن غينيا فيما بعد ، بلهفة وشوق ، ولكنه لم يكن يرفق قصائده الا بتحية مقتضبة بخيلة . ولقد هممت غير مرة بان اطلب منه ديوانا شعريا تنشره « دار الاداب » ثم كان يصرفني عن ذلك شاغل ، واعد نفسي بأن استدرك ذلك في فرصة اخرى ... ودمي قلبي اذ رأيت ان الموت كان اقرب اليه مني ... واني لاحس وانا اكتب هذه الكلمة بعاصفة بكاء في صدري ، ويمزقني الشعور بتفاهة هذا الانسان الذي يعد النفاس والله بأن يغني اجمل اغانيه ، فيأتي الموت ليطفىء النور في عينيه ويخرس اللحن في حنجرته ...

هكذا كتب علينا نحن عابدي الحرف والقلم ، ان نقاوم ابدا هذا العدو الاكبر ، لنستطيع ان نؤدي رسالة الحرف والقلم . ولكن الموت يأتي فيختطف منا بين الفينة والفينة من ترصدهم الحياة للحب والنور والامل ، فنبيت ونحن في رعب من ان ينالنا منجله قبل الاوان ، فاذا اغانينا حشرجات مذعورة بأشباح الموت ، بدلا من ان تكون الحانا طليقة بافراح الحياة ...

الم يتنبأ عبد الباسط الصوفي بالنهاية في اخر قصيدة اطلقتها حنجرته ؟ الم تكن « مكادي » (١) ارهاصا بموته الفاجع وهو بعد على عتبة الحياة ؟

لماذا غنى عبد الباسط هذا اللحن :

يقولون :

« هام بافريقيا عاشق ، في ضمير البحار وغاب ...

اضاع على الموج ايامه ،

فكان رحيلا .. بغير اياب . »

اكان يحس في اعماق ضميره ان رحلته هذه لن تكون بعدها رجعة ؟ او كان من فرط خوفه من الموت اصبح يتمناه وينتظره ويفتح له ذراعيه ؟

لقد تذكر عبد الباسط ميتة كامو ، فتذكر انسان كامو : سيزيف ، هذا الذي يجسد عبث الحياة ويأس الانسان ، فأحس انه يمثله اعمق تمثيل ، فقال يخاطب « مكادي » :

يطاردني الياس دامي السياط ، كما طارده

مكادي ! هما الصخر والعقم في لجتي الصاعده !

مكادي ! ترنحت وانهدمت جبهتي الصامده

وظلت عيوني تحدق في العتمة الوافده

ولم يبق في الكاس من خمرتي قطرة واحده !

فيا ايها الموت ، لا تفرغ كؤوسنا بهذه القسوة ! رحماك ايها الموت ، دعنا نعيش عمرنا لنقول ما في فكرنا وقلبنا .. افيكون لنا في غير الكلمة عزاء ؟

س.ا.

---

(١) راجع العدد الماضي من « الاداب » .